Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

ظاهرة التكرار اللفظي وبعدها الفني في الشعر الصوفي

" دراسة أسلوبية "

The phenomenon of verbal repetition and its artistic dimension in Sufi poetry " Stylistic study

محمدي يسية Mhamdi yassia عبد العليم بوفاتح Abdelalim boufatah
y.mhamdi@lagh-univ.dz abdelalimboufatah@yahoo.fr
جامعة عمار ثليجي بالاغواط (مخبر علم اللسان)
University of Ammar Thlegi, Laghouat
المؤلف المرسل محمدي يسية Mhamdi yassia y.mhamdi@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام : 2020-03-05 تاريخ القبول : 2020-04-04

ملخص:

الأسلوبية كمنهج نقدي حديث يعنى بتحليل النصوص والنظر في جزئيات العمل الأدبي بتفكيكه ودراسة أجزائه التركيبية كل على حدى وفق مستويات وآليات من اجل الوصول إلى مقاصد المتكلم والكشف عن التنويرات الإبداعية فيه وإننا هنا نسلط الضوء على ظاهرة التكرار اللفظي وبعدها الفني .في نوع أدبي لاحظنا تكثفها فيه وهو الشعر الصوفي الذي تفرد بمصطلحاته ورموزه اللغوية حتى أصبح من أصعب الأنواع على المتلقي وصار من الواجب إعمال المناهج النقدية باختلافها لتطويعه ،وذلك بالتعرف على مفهوم التصوف ومعنى التكرار اللفظي ثم كان لابد من إدراج شواهد والقيام بتتبع الظاهرة فيها ومحاولة استنطاقها للوصول إلى المقصد من وراء هذا التكرار في كل مرة.

كلمات مفتاحية: أسلوبية ، تصوف ، تكرار لفظي ، تحليل بنيوي ، منهج نقدي

Abstract :

Stylistic as a modern critical method which is charged of analysis of texts and considering the particles of the literary work by dismantling it and study its structural parts separately according to levels and mechanisms in order to reach the purposes of the speaker and reveal the creative enlightenments in it and here we highlight the phenomenon of verbal repetition and its artistic dimension In a literary genre we noticed its condensation in Mystic Poetry which was unique of its own terms and symbols of language until it became one of the most difficult types for the receiver, so becomes necessary to apply the different critical methods to adapt them , that is by identifying the concept of Mysticism and the meaning of verbal repetition Then it was necessary to include evidences and track the phenomenon in it, and try to understand it to reach the destination from behind this repetition every time ..

Keywords: Stylistic, Mysticism ,Verbal repetition ,Structural Analysis ,Critical approach

1. مقدمة:

اللغة الأدبية هي قناة لنقل الإبداع اللغوي مصحوبا بالمقاصد التي تتكون معانيها في نفس الأديب ثم تترجمها مفرداته المنتقاة ولكل كاتب أسلوبه في الاختيار ومعجمه اللغوي الذي ينهل منه ليجعل من معاني في نفسه كلمات تكون نصوص يرسل بها إلى المتلقي ،ولا تتضح قيمة النص إلا بعد نقده وتأويله لتتسع معانيه "وما فتئ كل إبداع سردي أو شعري يقابل بإبداع نقدي في مواكبة دائبة في توالي العصور وتعاقب الأجيال، وما ازدهر الأدب في عصر إلا وكان النقد رافدا له تفسيرا أو تقيما أو إبداعا وكلما قلة القراءة المبدعة، خبت جذوة الإبداع ووقف الكتاب عند عتبة السائد المعتاد، واكتفى النقاد والدارسون بما تحقق لديهم مناهج وأدوات ،ورؤى متوارثة وكانت قراءاتهم تقليدية مكررة لا تصل إلى حقيقة مقصديه النص ومخيبة لطموح النَاص"[1].

ولمدة من الزمن ظل النقد العربي التقليدي يسيطر على الساحة النقدية بآلياته الذوقية والمعيارية الى ان تنوعت المناهج في العصر الحديث بعد ظهور اللسانيات الوصفية البنيوية ومن بين المناهج التي لمعت في عالم النقد اللغوي الغربي "الأسلوبية" والتي أصبحت منهجا للعديد من النقاد العرب في محاولة نقل مفاهيمها الى العربية إما بمحاولة لإيجاد تأصيل للمصطلحات والآليات في الدراسات التراثية أو بإحداث مقاربات لنصوص العربية باستعمال المنهج الأسلوبي .

ويضفي التحليل الأسلوبي الكثير من الفنيات من اجل كشف تفاسير لمختلف الظواهر اللغوية خاصة تلك التي تحمل انزياحات في مختلف المستويات التحليلية ولفت انتباهنا أن بعض الظواهر تتكرر في ذات النوع الأدبي مكونة أسلوبا خاص بهذا النوع ومن هذه الظواهر ظاهرة التكرار اللفظي والمستعملة بكثرة لاسيما في الشعر واخترنا تتبع هذه الظاهرة في الشعر الصوفي للكثافة التكرارية التي تسجل على مستواه .

2- المنهج النقدي الأسلوبي وآلياته في استخراج المعنى:

تنتج النصوص الأدبية باختلاف أنواعها لتنم عن مواهب الأديب وتنقل مقاصده الى جمهور المتلقين وعلى اختلاف الفئات المتلقية والأزمنة يحدث التأويل من أجل التنقيب عن المقصد الحقيقي وقد نصل الى ابعد من ذلك بالبحث عن الدوافع النفسية والمحيطية وراء هذا المقصد المرسل في الكلمات ،ومن أجل هذا كان لبد من آليات وسبل منهجية تقود المتلقي الى فهم النص وذهبت بعض المناهج النقدية لاسيما الحديثة منها، الى البحث عن سياق انتاج النص ومحاولة دراسة نفسية الأديب ووضعه عند انتج هذا العمل من خلال أسلوبه، وذلك بإتباع خطوات بنوية لتحليل كشفا عن الأبعاد المختلفة المساهمة في خلق الإبداع الأدبي ومن بين هذه المناهج الحديثة وليدة اللسانيات السوسيرية المنهج الأسلوبي .

2-1- أهمية التحليل الأسلوبي في كشف ملكات المرسل ومقاصده :

ولعل المنهج الأسلوبي هو الأنسب والأقرب إلى استكشاف اسرار النصوص في نسيج تراكيبها ومضامينها.. كما أنّ الأسلوبية لا تعنى بالعناصر اللغوية، بل بدرجة قوتها وانسيابها التعبيري داخل مستوى النص ، ويجعل من اللغة أداة ناقلة للانفعال والعاطفة فيحاول الناقد الأسلوبي أن يصل إلى المقصد القولي للمنتج ومدى نجاحه في ترتيب عباراته لإيصال مراده للمتلقي الذي يبني تأويلاته على اللغة وتحليل النظم الوارد إليه بنمط معين مع إمكانية توصيل ذات المعنى الظاهر بأكثر من نمط إلا أن كل نظم خاص له مدلولات خاصة خفية تضفي على المعنى دلالات جانبية تعميقا أو توسعا أو تخصيص .

وفي هذا يرى الدكتور صلاح فضل أنّ "تعريف الأسلوب بأنه محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة يظهر أهمية انتقاء المؤلف بين إمكانيات اللغة الاختيارية التي تقوم بينها علاقة التبادل مما يجعل الامر واضحا بأن نلاحظ الفوارق الأسلوبية في نصوص تنتمي لنفس اللغة عندما تؤدي جميعها المحتوى الإعلامي ذاته بأشكال مختلفة.."[2]

وتخضع عملية الاختيار هذه عادة إلى عاملين أساسيين الأول ذاتي ويشمل الاختيارات اللغوية للمتكلم وطابع تفكيره ومهاراته الأسلوبية ،والثاني موضوعي يشكله السياق (المقام) وشكل الخطاب ...[3]

2-2-مبادئ التحليل الأسلوبي :

ومن أجل القيام بتحليل أسلوبي نقدي يكشف جوانب النص الجمالية والفنية، ويقدّم للقارئ قراءة نقدية فاحصة مستقصية، فإنّ يستوجب إتباع مبدأ التحليل والتفكيك وهو مبدأ بنيوي يقوم وفق مراحل خطية اللغة، فيدرس الحرف والصوت، ثم يعرج على الصرف والتركيب، ويختم بالمستوى البلاغي ثم الدلالي..

ويجدر بالمحلل الأسلوبي ملاحظة التجاوزات النصية وتسجيلها بهدف الوقوف على مدى شيوع الظاهرة الأسلوبية أو ندرتها ويكون ذلك بتجزئة النص الى عناصر ثم تفكيك هذه العناصر إلى جزئيات وتحليلها لغويا[4] . ويمكن تطبيق المنهج الاسلوبي على نوع ادبي بتقصي الظواهر الغالبة على النصوص المنتمية الى هذا النوع فدراسة العينات الكثيرة تؤدي الى استقصاء القواعد التي يمكن تعميمها على ذات النوع كونه تكثر به ظاهرة اسلوبية تجعل منه اسلوبا خاصا يعرف به النوع اذا ما وجد .

ومن الظواهر الأسلوبية التي تتميز بها الأشعار الصوفية، وتتردد فيها كثيراً، ظاهرة التكرار(الموازنات) والذي يشمل الصوت مفردا ،ثم تكرار الكلمات ليتعداها الى تكرار العبارات وقد يتكثف هذا التكرار ليعم طول القصائد وما سنقوم به هنا هو تتبع دلالة تكرار الكلمة في الأشعار الصوفية كظاهرة أسلوبية تخلق من التكرار المنبوذ في اللغة إلى تكرار ذا دلالة يضفي على الإنتاج الصوفي نوع من التميز وكثيرا من العمق والتنوع الدلالي للمدلول الواحد وقبل هذا يجدر بنا التعريج على بعض المفاهيم التي

سيتكرر ذكرها هاهنا فما هو الشعر الصوفي ؟ وما دلالة الموازنات اللفظية ؟ أو ما مقدار المعنى المحمول على التكرارات اللفظية ؟ ثم سنقدم بعض الأمثلة والشروح التطبيقية حول هذه الظاهرة الأسلوبية وبعدها الفني في الأشعار الصوفية (للأمير عبد القادر وبعض الشعراء المتصوفين من أقرانه أسلوبيا)

3- نبذة عن التصوف :

شعر التصوف: الصوفية حركة دينية انتشت في العالم الإسلامي في ق 3 هـ كنزعات فردية تدعو الى الزهد وشدة العبادة والانقطاع عن عالم الشهوات وانتقل التصوف من ظاهرة فردية بين الانسان وربه إلى ظاهرة اجتماعية طرفية ،كثر رجالها و أتباعهم خاصة في المغرب العربي الكبير كما كثر الأولياء والأدعياء.

3-1-لغة :

لم يتفق الكتاب من المتصوفة وغيرهم في تحديد اشتقاق لفظة التصوف هل هي جذر ص أف أي الصفاء أم جذر ص و ف أي من الصوف وأبرز الاحتمالات التي وردت في كتب التاريخ ما يلي[5]:

أ- من الصفة = فقراء المسلمين في المدينة اسكنهم الرسول (ص) في حجرات تابعة للمسجد
ب- الصفاء = أي صفاء النفس والبعد عن الشهوات مشتقة من الكلمة اليونانية صوفيا
ج- الصف الأول أي أهل الصف الأول من الصلاة
د- بني صوفة :قبيلة عربية كانت تخدم الكعبة
هـ- الصوف :نسبة الى لبس الصوف والتقشف والزهد
و- ومنهم من يرى أن مصطلح التصوف إنما هو نسبة الى صوفية القفا وهي خصلة من الشعر الأبيض في القفا .

3-2- تعريف التصوف اصطلاحا :

يعرف التصوف في اصطلاح الاختصاص على أنه :

-" التخلف بالأخلاق الإلهية بالوقوف على الآداب الشرعية ظاهرا فيرى حكمها من الباطن فيحصل لتأدب بالحكمين كمال "[6]

- و" التصوف هو موافقة للحق والمفارقة للخلق "[7]

ونعني بالتصوف الخالص في الشعر الحديث ذلك اللون من القصائد التي اتجه فيها أصحابها الى الحديث عن القضايا التي عرفت في الفكر الصوفي بوجه عام مثل(العزل الإلهي) ،(الخمر الإلهية)، (النور المحمدي) ،(وحدة الوجود) .

ويقول زكي مبارك " إي والله كان للصوفية أدب وهو أعلى و أشرف من أدب البحتري والمتنبي وأبي العلاء ،ولكن ضاقت بالنفس طائفة من الجهل فتوهموا أن لا صلة بين الأدب والدين "[8]

وإني أرى أن للشعر الصوفي نكهة خاصة ومكانة يسمو بها عن غيره لما فيه من صدق العاطفة وتدفق الإحساس وصدق التوجيه والنصح لكن على المقبل عليه أن يدرك أن المعنى عميق والفكرة فلسفية والتأويل مشوب برمز غالبا يصعب فكه عند أي كان اذ يتطلب العلم بالمعاني والمصطلحات .

والشعر الجزائري زاخر بالأسماء اللامعة في عالم التصوف :هذا الأخير الذي يعد من أهم السمات المميزة لأدبنا القديم ،و اذا كان ما احتوته كتب التراجم من الشواهد الهامة على اتساع رقعة التصوف في الجزائر فان انتشار الزوايا وكثرة الطرق الصوفية عامل آخر يشير إلى انتشار التصوف ،فالزوايا كثيرة يصعب عدها ، من أهمها " الرحمانية ،القادرية ، الشاذلية ، السنوسية ، الدرقاوية والتجانية...."[9]

وقد ذكرت المراجع عدد كبير من الزوايا ففي تلمسان وحدها ما لا يقل عن ثلاثين زاوية وفي نواحي قسنطينة اكثر من ثلاثة عشر زاوية وكان بالعاصمة سنة 1246 اثنان وثلاثون قبة أو ضريحا[10]

وإني هنا سأحاول استنطاق جانب من الجوانب الأسلوبية في الشعر الصوفي لاسيما أشعار الأمير عبد القادر وشيخة ابن عربي الا وهي ظاهرة التكرار اللفظي أو ما يسمى في الأسلوبية بالتوازي اللفظي (parallélisme) وهو من العناصر البنائية للموسيقى الداخلية.

4-التكرار اللفظي :

4-1 -لغة :

التكرار في اللغة من مصدر الفعل كرر أو كر وكرر الشيء وكرره أعاده مرة بعد أخرى ،والكرّة المرة والجمع كرّات [11]

4-2-اصطلاحا:

فقد عرفه ابن الأثير بقوله " هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا "..[12]

وربط السيوطي ظاهرة التكرار بمحاسن الفصاحة لأنه نوع من الاختيار الذي يدخل في باب حسن النظم من غيره ،كونه مرتبط بالأسلوب القائم على اختيار التكرار لأجل التوكيد أو التأكيد وهذا ما أورده في كتابه " الإتقان " بقوله : (هو أبلغ من التوكيد وهو من محاسن الفصاحة)[13]

وخلاصة القول أن التكرار بالمفهوم الاصطلاحي قد ولج في دائرة التوكيد وذلك من حيث المعنى البلاغي كونه فائدة للكلام فقد قيل : الكلام اذا تكرر تقرر ..

فمفهوم التكرار يتحدد في ابسط مستوى من مستوياته بـ" أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه ،سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا ،أو يأتي بمعنى ثم يعيده وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني ،فان كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته وتأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس ،وكذلك إن كان المعنى متحدا وإذا كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا فالفائدة بالإتيان به للدلالة على المعنيين المختلفين "[14] ومنه نجد أن للتكرار دلالات فنية ونفسية لأنه يقرر لفظة بذاتها يجعلها القائل قبة يدور حولها لاسيما الصوفي اذ يبحث عن ما بنفسه ويكرره من باب الاهتمام بما شغله خيرا كان ام شرا ،سلبا ام إيجابا كما ان التكرار ظاهرة بلاغية وجدت في القرآن والحديث والشعر والنثر .

وقد نظر مصطفى السعدني إلى التكرار من ناحية صوتية لسانية في كتابه " البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث " وتعد دراسته من الدراسات التطبيقية المنهجية الأولى للتكرار ،اذ استطاع السعدني ان يدرس هذه الظاهرة بدقة كبيرة بدءا من تكرار الأصوات كتكرار (الصوامت والحركات والحروف) وتكرار الكلمات وانتهاء بتكرار التراكيب والصور والرموز [15] ويعد صلاح فضل التكرار من الطاقات الأسلوبية الفاعلة في بداية النص الشعري ،إذ يقول " يمكن للتكرار ان يمارس فعاليته بشكل مباشر ،كما أن من الممكن أن يؤدي إلى ذلك من خلال تقسيم الأحداث والوقائع المتشابكة إلى عدد من التمفصلات الصغيرة التي تقوم بدورها في عملية الاستحضار[16]

وعل هذه التقسيمات والتفكيكات البنيوية إنما هي من وظائف التحليل الأسلوبي من اجل الكشف عن البعد الفني لمختلف التكرارات هو الكشف عن نفسية الشاعر (الكاتب) والوصول إلى مبتغاه حين كرر وأعاد فقرر وأفاد .

5- تتبع ظاهرة التكرار اللفظي في الشعر الصوفي وتحليلها أسلوبيا:

والذي علم حضوره في الخطاب الصوفي بيانية التكرار ورسالته في الإبلاغ والعبارة فقد عرف على شعراء التصوف تكرارهم للموضوعات (كموضوع التوحيد، الخمرة، الغزل الصوفي، معاني الطلل، العزلة، والخلوة...وغيرها)هذا ما نسميه بالتكرار العام وهناك تكرار خاص امتاز به كل شاعر متصوف على حدى وهو تكراره لرؤياه التي قد لا تتكرر، فالكل يذكر الخمرة من باب التكرار العام داخل لغة التصوف ولكن لكل واحد منهم رؤية خاصة حول الموضوع موسومة بمؤثرات خارجية (حياته، بيئته، ثقافته، تجاربه في العيش ،الظروف الزمكانية، رحلته مع التصوف ...) [17]وهناك تكرار رأينا أنه يخص هذا النوع الأدبي وهو التكرار اللفظي –الغالب بصورته ومعناه- والذي سجلناه في كل جل ما صادفنا من أشعار صوفية

أما عن الجانب التطبيقي لما ذكرناه فسنتتبع ظاهرة التكرار اللفظي في بعض النماذج من الشعر الصوفي لنكشف عن وفرته محاولين ابداء بعده الفني في الكشف عن أسلوب الشاعر ومبتغاه من وراء هذا الاختيار في هذا النوع من الادب (الشعر الصوفي)

5-1-أنموذج اول :

قول بن عربي(1164م-1240م) :[18]

الملك لولا وجود الملك ما عرفا ولم يكن صفة مما به إتصفا

فذروة الملك برهان عليه لذا قد التقت طرفا هكذا كشفا

فكان آخرها كمثل أولهما وكان أولها عن سابق سلفا

وعندما كلمت بالختم قام بها مليك لها سيد الله معترفا

أعطاه خالقه فضل معارفها وما يكون وقد كان وانصرفا

من خلال هذه التجليات يكشف طريق السالك والحقيقة الواحدة نحو أحدية الله تعالى وبيان الملكية والخلافة ولذا تكرر لفظ الملك بكثافة في البيتين الاولين وكأنه يشد القارئ إلى التمعن في موضوع الابيات وهو التأكيد على لمن يكون (الملك) ثم في البيت الرابع يذكر مليكها وكأنه يقول الملك ، الملك ، الملك ،

للمليك وهو الله تعالى. وانما يعطي ملكه من بعده لأصحاب الكشف من خيرة خلقه

*ويقول في قصدة اخرى يصف فيها التصوف[19] :

فاعلم أن التصوف تشبيه بخالقنا لأنه خلقٌ فأنظر ترى عجبا

كيف التخلق والمكر الخفي لـه خلقه وبهذا القدر قد حما

وذمه في صفات الخلق فاعتبروا فيه فدا مثل للعقل قد ضربا

ان الحديد الذي ما الصنع بداخله في غير منزلة يردها ذهبا

كذلك الخلق المذموم يرجع مذ موما اذا هو للدخان قد نسبا

ان التصوف اخلاق مطهرة مع الالـه فلا تعدل به نسبا

وتراه هنا يكرر كلمة الخلق على طول المقطوعة (خالقنا ،خلق، التخلق ،خلقه، الخلق، الخلق، الخلق) كلمات يتحد فيها الجذر (خ، ل، ق) وتختلف اللواحق حسب الوقوع في الجملة ذلك أنه يحدد تعريف التصوف الذي يراه تشبه بالخالق وامتياز بالخلق(رفعة ،وعلو زهدا عن الحاجة للغير، سعة العقل،...)

فهذا التكرار لكلمة الخلق انما هو ذلك الاصرار الذي يحمله ابن عربي بداخله على أنه وغيره من المتصوفين إنما لم يخرجوا عن عبادته لله وحده وتصوفهم سني فيه مزيدا من التقرب لله والتفرغ للعبادة فهو في الأخير يعلن (التصوف أخلاق مطهرة)لا يجوز أن نعدل عن هذا التعريف إلى غيره مما يبعده عن مجراه وهدفه وحقيقته.

*ويقول في قصيده مريضة الاجفان[20]

مرضي من مريضة الاجفان علّلاني بذكرها علّلاني

هفت الورق بالرياض وناحت شجو هذا الحمام مما شجاني

ففي البيت الأول كرر الملفوظ عللاني، عللاني من باب التوكيد واعطت البيت موسيقى مضاعفة وزادت من حمولة البيت الدلالية المشبعة بالثقل من السقم ،فبعد ذكر كلمة المرض مرتين في الشطر الأول (مرضي، مريضة)ضاعف عللاني في الشطر الأول كنحيب على ما اصابه منها (الواضح من القول هي المرأة والخفي هو حب صوفي قد يرسم اي قدر رسم الانثى).

5-2-الأنموذج الثاني:

الأمير عبد القادر الجزائري(1808م-1883م)

أما من صوفيات الأمير عبد القادر فإننا لاحظنا وفرت التكرار لذات اللفظ بذات الصيغة الصرفية وذات المعنى فهو تكرار توكيدي وسنختار بعض المقتطفات نحو هذه المقطوعة[21] :

أنا حق أنا خلـق أنا ربأنا عبد

أنا عرش أنا فرش وجحيم أنا خلد

أنـا ماء أنا نـار وهواء أنا صلد

أنـا كـم أنا كيف أنا وجد أنا فقد

أنا ذات أنا وصف أنا قرب أنا بعد

كل كون ذاك كون أنا وحدي أنا فرد

في هذه المقطوعة تكرار مكثف للضمير (أنا) وهو في الحقيقة تكرار للتركيب (مسند إليه مسند) وهذا الكم من (الأنا) إنما يوحي بالتفرد والعظمة التي يشعر بها الشاعر فيرى نفسه قد وصل إلى نقطة الكشف حيث صار بإمكانه الاضمحلال والانحلال في كل ما حوله من مخلوقات بقدرة الله الخالق وربما هو تكرار يبحث فيه عن ذاته بين كل ما يصور أنه (أنا) أنه نوع من التكرار الذي يؤكد مكانه

الأمير بين المتصوفين، انه تصوير بليغ كونه جرب كل الظروف من الإمارة الى القيادة ثم السجن والمهانة ثم الغربة والتصوف فأصبح لا يبالي أن يكون كل شيء ونقيضه وأتاح له الكشف هذا وأكثر

*ومن قصيدته تجلي المحبوب يقول الأمير عبد القادر[22]:

وقد شرب الحلاج كأس مدامة فكان الذي قد كان مسطرا

وإني شربت الكأس والكأس بعده وكأسا وكأسا شيئا ما أنا حاضرا

وما زال يسقيني وما زلت قائلا لـه زدني ما ينفك قلبي مسعرا

لو تأملنا هذه الأبيات لرأينا تكرار كلمة (كأسا) أربع مرات في ذات البيت ومرة في البيت الذي قبله هذا التكرار الذي قد تستنكره الأذن في مقامات أخرى ويوصف بالإطناب إلا أنه هنا أدى دورا إيقاعيا ودلاليا بليغا ،فهو يخبرنا بنوع الشراب وهو ذاته الكاس الذي شربه الحلاج وهو من أعلام الصوفية وقد بلغ مبلغ بين أهل العرفان فهو بذا قد شرب من خمره أهل الحضرة وهي تلك النشوة التي يستشعرها الصوفي بسبب ما يشعر به من قبول لدى الله بفتح باب التوبة والتقرب لله إنه شعور يجعل المتصوف يحس بأن روحه قد انفصلت عن الجسم الدنيوي وشهواته لتلتحق بأهل القبول ممن صفت أرواحه فانحلوا في روح الخالق ثم يستطرد الأمير مؤكدا أنه قد وصل إلى ما وصل إليه الحلاج بأضعاف إذ لم يكتفي من الشرب ليؤكد لنا أنه شرب الكأس وراء الكأس وكررها ليعلمنا أنه قد وصل إلى تلك المكانة من ود وقرب واندماج وانحلال فرخص لنفسه هذا التكرار المكثف ليوافق مطلب نفسه من الغرف مما عرف من حب الهي وكشف ثم يردف بعد كل هذه الكؤوس يطلب الزيادة من الساق الكريم ليصل الى حال السكر العرفاني فيقول بعدها :

في الحال حال السكر والمحو والفنا وصلت الى لا أين حقا ولا ورا

*ويقول في قصيدة هويته[23]:

ما نحن إن حققت بالغير والسوى هويته سمعي هويته البصر

هويته عقل هويته قلبي هويته كلي لا تبقى ولا تذر

هويته رجلي هويته يدي هويته نفسي وانني ما ذكر

وما حلني ولا حللته أنا به فكأنني منذ كنت فاسمع لي واعتبر

تعددت الألقاب والعين واحد فما ثم إلا الله عين الغير

فشيئان لفظ نحن والعين واحد فأنت هو الأنا وهو أنت فاذكر

المتلقي يرى أنه أمام فلسفة يصعب حل رموزها وهو ما يكايده الدارس للتصوف في أشعارهم وكتاباتهم وبحكمة فلسفية نرى أنه كرر كلمة (هويته) وهي في الحقيقة مركب فعلي أسند إليه كل الأعضاء واحد تلو الآخر وكأنه يستصغر أن يكون الهوى خاص بعضو واحد في الجسم كما عرف عند (أهل الهوى) وهو القلب فهو يرى أنه يجب أن يهوى بكل حواسه (البصر ،السمع ، الأطراف ،العقل ،القلب ...) لأنه يتكلم عن هوى تجب فيه العبادات قربانا للمحبوب هو الهوى الذي يستخدم فيه المحب كل ما يملك من أعضاء ليتذوق طعم الحب الذي انغمس فيه وينهال من رحمة الله بالعبادات والطاعات التي تشترك فيها كل الحواس فكل هذه التكرارات (هويته) إنما هي تفشي حادث على مستوى القصيد مقدار ما وصل اليه الهوى في نفس الشاعر حتى أنه عزم أن يرى بعين المحبوب فتصبح العين واحدة وحدانية النظر الى الجمال والبعد عن القبح والمعاصي بالإضافة الى التوكيد اللفظي الحادث في هذه المقطوعة (في مستوى فعل الهوى) فانه يحمل في طياته إضافة خاصة إلى هذا النوع من الشعر (الصوفي) فيزيد من موسيقاه الداخلية ويدمج القارئ معه في جو من التدبر باستخدام التفكيك الدقيق وإعمال العقل الباطن لفك الرموز والوصول إلى مبتغى الشاعر وهذا التوازي الصوتي إنما هو حمولة زائدة من مظاهر الانزياح الأسلوبي الذي يتميز به هذا النوع الأدبي (الشعر الصوفي) وخاصة على يد الأمير عبد القادر الذي يريد المعنى على حساب اللفظ فلا يهتم بالصيغ قدر اهتمامه بإيصال ما في نفسه من مكبوتات أو أنه قد تعمد هذا التميز في القول وكأنه يقول ويتردد الصدى في نفسه فيقول ذات الكلمة مرة ومرات حتى يشبع ما في ذاته من تحاليل حكيمة وصل اليها بدخوله عالم العرفان وتأثره بشيخه ابن عربي وغيره في المذهب والأسلوب.

5-3-الأنموذج الثالث:

رابعة العدوية (717م-796م)وهي شخصية دينية اتبعت المذهب الصوفي وصارت من أعلامه في العالم الإسلامي ومن الشواهد في شعرها نجد *قولها[24]:

راحتي يا إخوتي في خلوتي وحبيبي دائما في حضرتي

لم أجد لي عن هواه عوضا وهواه في البرايا محنتي

فشاعرة الحب الإلهي في البيت الثاني تكرر كلمة (هواه)بلفظها ومعناها تكرارا تأكيديا للمعنى فعطفت (هواه) الثانية عن الأولى في سياق عام يؤكد امتلاء قلبها بهذا الهوى (عشقها للخالق المعبود)،فتتكلم عن انعدام العوض عن هواه في الشطر الأول وعن كون هذا الهوى محنتها وعذابها في الشطر الثاني لعدم تفهم من حولها وبعد المحبوب عن أرضها لذا تختلي كي تجد منه إشارات وتتفرغ لمناجاته فتحدث الراحة بالخلوة .

*وتقول في قصيدتها المشهورة (احبك حبين):

احبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهلا لذاك

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك

وأما الذي انت اهلا له فكشفك لي الحجب حتى اراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

والمحل الشاهد في هذه الابيات تكرار كلمة (حب) في البيتين الاولين لأنها بصدد مناجاة المحبوب وتفصيل هذا الحب الإلهي الذي تملكها والبيت الرابع الذي يحوي تكرار لكلمات عدة (الحمد) (ذا) (ذاك)وهو تكرار تفسيري بليغ زاد في تناغم القصيد كما رفع بلاغة النظم فيه بما اضفاه من حمولة دلالية إذ نفت نسب الحمد لذاتها وأكدته لمحبوبها صاحب الفضل والقدرة فهو نفي لقضية لطرف وإثبات لها لطرف آخر وما يلاحظ هنا انه من تردد كلمات ثلاث استطاعت حياكة نسيج له موسيقاه ووزنه وبلاغته وهذا ما يسمى ببراعة النظم وحسن الاختيار.

5-4-الأنموذج الرابع :

أبو مدين التلمساني**(1115م-1198م)**ومن شواهد تكرار الألفاظ في الشعر الصوفي نجد سيدي بومدين يقول[25] في ميميته (الخمرية)المشهورة والتي استلهم منها ابن الفارض في نظم ميميته المشهورة أيضا حتى تشابهتا :

حضرنا فغبنا عند دور كؤوسها وعدنا كأنا لا حضرنا ولا غبنا

وأبدت لنا في كل شيء إشارة وما احتجبت إلا بأنفسنا عنا

والشاهد هنا في تكراره كلمتي الحضور والغياب في شطري البيت الأول فبعد إثباته الحضور ثم الغياب عند دور الكؤوس (كؤوس الخمرة الإلهية بمعناها الصوفي) ويستدرك هذا الاثبات بتشكيك اذ يشعر بعد مرور جلسة الخمرة الالهية (في حلقات الخلوة والابتهال) وكأنه بعدها لم يحضر ولم يغب ،وهذا التعبير من ظاهره فيه تكرار وعمقه يحوي معنى بليغ يخلقه ذلك الجو من المناجاة لله حيث يغيب العقل رغم حضور الجسد العابد ليعود له في الصحو وكأنه كان في منام وهي حالة روحية تحدث ذهول يشبه السكر لتجلي المحبوب ((فالشاعر يسكر عند مطالعته الجمال الالهي ومشاهدة تجلياته في الاعيان ،فتصبه الدهشة والغبطة والهيمان ،وكلها احوال يغيب فيها العقل فتفضي الى العوالم الروحية))[26]

5-5-الأنموذج الخامس:

ابن الفارض(1181م-1234م) ونأخذ من قصائده الكثر مثالا بسيطا عن التكرار اللفظي كظاهرة أسلوبية اذ يقول[27]:

صد حمى ظمأى لماذا لماذا؟ وهواك قلبي صار منه جذاذا

عنت الغزالة والغزال لوجهه متلفتا و به عياذا ملاذا

ويجزع ذيك الحمى ظبي الحمى بظبي اللواحظ إذا أخاذ أخاذا

فهنا تجلى بقوة الترميز الصوفي فاستعمل رمز الغزال إشارة الى النفس الإنسانية التي ألهمت صوابها وهي عبارة عن الروحانية الإنسانية المشرقة عن العالم الجسماني ويقصد بالحمى القلب التقي وبالظبي عالم الغيب وهذا الكم من التكرارات إنما هو رسالة إلى المتلقي ذو الثقافة العرفانية لأنها رموز لا يفهم معناها من ظاهرها بل تستلزم التعمق في بواطنها .

وما يهمنا هنا هو استعماله لتكرار اللفظي على ذات البيت كتكراره لأداة الاستفهام (لماذا) وهو تشبيع لسد التفعيلة اللزمة وربما تأكيدا على السؤال ثم كرر (حمى، ظبي، أخاذا) وهو شاهد آخر على ملازمة التكرارات المتعددة (تكرار ملفوظات عدة) على ذات البيت في الشعر الصوفي خدمة للموسيقى الداخلية وكأنه انعكاس لصدى هاته الكلمات في نفس القائل وتأكيد على قناعاته بها مقابل الصد والاتهامات التي تحيط بهم من قبل العامة المتلقية وقد كفرهم الكثيرون امثال ابن تيمية في قوله(...وهذا الالحاد وقع في كلام ابن عربي صاحب الفتوحات ....)[28]

5-**6- الأنموذج السادس :** عمر بن قدور(ولد1887م وعاش فوق 100عام) المنتمي الى الطريقة التيجانية ويقول في موشح له[29]:

رامني رامٌ وما رام رمى بسهام ما رماها بنفسي

فابتلى قلبا عوى لم يرما بالحجا رب الحجا لم يقص

حتى يقول:

راعها الرفق بها يا للعجب بؤسها للطب أنس يقتنى

فتمادت تعذل القلب وما بؤسه إلا لعذل الأنفس

وفي طريقه لوصف حبه (الحب الإلهي) جين دق قلبه وقلب كيانه وهرع خائفا من فوات الفرصة معاتبا نفسه اذ تتذمر من التعب وتهوى البقاء في لهو ومرح فيكرر في البيتين الأولين كلمة (الرماية) بمختلف صيغها الصرفية (رام ،رامٌ ،رام ،رمى ،رماها ،يرما) فهذه الكلمات تكاثفت لتدل على أن الحب الإلهي والحقيقة المحمدية إنما ترمى أي يقذفها الله في جوف الخاشع لتصيب قلبه بالهوى وتذقه تجربة التصوف والتخلي عن ما يشغل النفس من شهوات دنيوية زائلة ثم يعود ليكرر كلمة الهوى .

* ويقول في آخر الموشح :

معشر العشاق طبتم من تقاة هل هو يتم والهوى فيك عدول

أنا الهوى والهوى مني ثبات ونفور واعتراض وقبــول

ليؤكد أنه أصيب بهوى الإله إلا أنه يلقى من النفس اعتراض لارتباطها بالملذات غير أنه يؤكد هذا الميول بتكرار كلمة الهوى وقرنها بالثبات وهو ما عرف فالفناء الصوفي والراجع الى المدونة الصوفية يجد أنهم ألزموا أنفسهم بهذا الإخلاص في التصوف حتى يحدث الحلول أو الانحلال كما يرى ذلك ابن خلدون إذ يقول ((إنه لا يوجد فارق بين مصطلحي الاتحاد والحلول مع الفناء الصوفي ...))[30].

6- خاتمة :

لما عرض من شواهد نرى أن ظاهرة التكرار اللفظي كظاهرة أسلوبية تعد إحدى سمات الشعر الصوفي وترد فيه أكثر كثافة من غيره ،ذلك أن المتصوف يعيش حالة نفسية مضطربة بدلت الدنيا وملاذها بحب الحق وانتظار الدار الأخرى وسلم نفسه لهوى علقه بحب إلهي اكسبه رؤيا عميقة باطنية للأمور والمصطلحات غير تلك التي اعتادها واعتدناها مما يجعل الشاعر الصوفي يردد بعض الكلمات الرمزية المعروفة في حضراتهم مما جعلهم يتقاربون في الأسلوب والموضوعات ومن الأمور التي لا يخلو منها شعر عرفاني ظاهرة التكرار اللفظي لأنها تنبع عن نفس تبتهل فتكرر بغرض التودد في الدعاء تارة وبغرض الدفاع عن المذهب وتأكيد المطلب تارة أخرى لان الوارد الصوفي لا يهتم بالشكل اللغوي (البنية السطحية) قدر اهتمامه بالمعنى وحرصه على إخراج ما بنفسه من ضغوطات والتي تظهر بالتنقيب عليها في (المعاني العميقة) ،إن التكرار كظاهرة أسلوبية تتجلى بوضوح في الأشعار الصوفية وتصل إلى التفشي على طول القصيدة بعض الأحيان ويتجلى بعدها الفني في إعطاءه موسيقى تميز موشحاتهم وابتهالاتهم كما تجعل المتلقي يطرب لسماعها رغم صعوبة الألفاظ وكثرة الرموز ذلك أن الأذن تألف ما يتردد فيعيده الذهن معلنا أن وراء التكرار تأكيد ينم عن نفس مؤمنة بالأفكار ملحة في الطلب والرجاء . ولا يمكن أن يكون هذا الكم من التكرارات اللغوية -و اللفظية منها خاصة - قد جاءت بلا مقصد إنما هي رسالة شكلية تستدعي من المتعامل مع هذه القصائد التسلح بآليات التفكيك والتدبر للوصول إلى دلالة هاته العلامات اللغوية وعل المنهج الأسلوبي يمتلك فنيات القراءة العميقة ليستنطق هاته السمات بإعلان سمة خاصة بهذا النوع من الأشعار (العرفانية) والتي تستدعي من الباحثين المهتمين مزيدا من التحاليل الموضوعية لكشف مختلف الأبعاد الفنية وتحليل نفسيات هؤلاء المتصوفون من خلال أشعارهم وأساليبهم .

7-المصادر والمراجع :

7-1-الكتب :

1- ابن تيمية ،الرسائل الصفدية ،تحقيق محمد حسين اسماعيل ،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 2000م.

2- ابن منظور، لسان العرب ،ج5 دار صادر ، بيروت لبنان، ط1، 1997، .

3- ابن الأثير،المثل السائر ،تحقيق محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ،دط،بيروت لبنان ج2 ، 1999.

4- أبو مدين التلمساني ،الديوان ،جمع وترتيب العربي بن مصطفى الثوار ، مطبعة الشرق ،دمشق،ط1، 1958.

5-عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة،دار الكتاب اللبناني ،بيروت، 1965م.

6-الأمير عبد القادر ،ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ،تحقيق د. العربي دحو ،منشورات ثالة ،الجزائر ،ط2007،3.

7- بن عربي،ديوان بن عربي ،شرح احمد حسن ،دار الكتب العلمية ط1، 1996م.

8- رابح بوحوش،اللسانيات وتحليل النصوص ،عالم الكتاب الحديث،عمان الاردن،ط2007،1 .

9- ينظر فتح الله أحمد سليمان ، الاسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية) ،مكتبة الآداب، القاهرة،دط،2004 .

10- صلاح فضل،علم الأسلوب ،(مبادئه واجراءاته) ،دار الشروق،مصر،ط 1، 1998.

11- عبد القادر الجيلالي،الفتح الرباني والفيض الرحماني مراجعة هيثم خليفة طعيمي ،المكتبة العصرية بيروت ،لبنان ط2004،1 م

12- عبد المنعم حنفي، الموسوعة الصوفية ،دار المسيرة ،بيروت ط1، 1400 هـ ، 1980م .

13-عبد الحميد هيمة،الخطاب الصوفي وآليات التأويل ،قراءة في الشعر المغاربي المعاصر، موفم للنشر الجزائر، دط.

14- عمر بن الفارض،الديوان، تحقيق مهدي محمد نصر الدين،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط2002،1.

15- عبد الله الركبي ،الشعر الديني الجزائري الحديث ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ط1، 1981.

16- مبارك زكي، التصوف الإسلامي في الادب والأخلاق،دار الكتاب العربي ببيروت ، لبنان ،1990

17- السيوطي جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ،ج 3 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية لبنان ،دط ، 1988 .

18- محمد صابر عبيد،القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية ،اتحاد الكتب للعرب،دمشق ،2001.

19- مصطفى السعدني (دت) ،البنيات الاسلوبية في الشعر العربي الحديث ،منشأة المعارف ،دط ، مصر

20- يوسف هادي بور بهزمي،التراث الادبي ،بيروت ،لبنان ،ط 1،1839 م .

7-2-المجلات :

1- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ،سلسلة عالم المعرفة الكويت، ع 164 ،1992م.

2- سعد مصلوح ،الدراسة الإحصائية الاسلوبية ،بحث في المفهوم والاجراء والوظيفة، المجلد20 ،العدد 3

3- جريدة (الفاروق) الجزائرية في 1921/10/8م ،(أول جريدة يؤسسها جزائري خارج الوصاية الفرنسية)،ينظر أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ج 8 .

7-3-موقع الكتروني :

- مقال د. محمد الامين خلادي2011 ،جامعة أدرار،الجزائر، عبر الموقع الالكتروني https//revus.univ-ouargla.dz

8-الهوامش :

[1] رابح بوحوش،اللسانيات وتحليل النصوص ،عالم الكتاب الحديث،عمان الاردن، ط 1،2007 ، ص1

[2] صلاح فضل ،علم الأسلوب ،(مبادئه واجراءاته) ،دار الشروق مصر،ط1،1998،ص 89

[3] ينظر سعد مصلوح ،الدراسة الإحصائية الاسلوبية ،بحث في المفهوم والاجراء والوظيفة ، المجلد 20 ،العدد 3، ص 107

[4] ينظر فتح الله أحمد سليمان ، الاسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية) ،مكتبة الآداب، القاهرة،دط ،ت2004 ،ص 52-53

[5] ينظر:عبد القادر الجيلالي الفتح الرباني والفيض الرحماني مراجعة هيثم خليفة طعيمي ،المكتبة العصرية - بيروت ،لبنان ط1، 2004م ص 95

[6] عبد المنعم حنفي الموسوعة الصوفية ،دار المسيرة ،بيروت ط1، 1400 هـ ، 1980م ،ص 45 .

[7] ينظر عدنان حقي ،الصوفية والتصوف ص 30

[8] د.مبارك زكي التصوف الإسلامي في الادب والأخلاق ،دار الكتاب العربي ببيروت (لبنان) ، 1990 م، ص 37 وما بعدها .

[9] عبد الله الركبي ،الشعر الديني الجزائري الحديث ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط1 ، 1981 ص 329

[10] أبو القاسم سعد الدين ،تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 ص 266

[11] ابن منظور ،لسان العرب ،ج5 دار صادر ط 1 1997 بيروت لبنان ص 390

[12] ابن الأثير ،المثل السائر ،تحقيق محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ،(دط) 1999 بيروت لبنان ج2 ص 146

[13] السيوطي جلال الدين ، الاتقان في علوم القرآن ،ج 3 تحقيق محمد أو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ،دط 1988 لبنان، ص 199

[14] محمد صابر عبيد ،القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية ،اتحاد الكتب للعرب ،2001، دمشق ص 15

[15] ينظر مصطفى السعدني ،البنيات الاسلوبية في الشعر العربي الحديث ،منشأة المعارف ،دط ،مص ،ص 147-171

[16] صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ،سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني لثقافة والفنون والادب،الكويت،دط،1992،ص32

[17] ينظر مقال د محمد الامين خلادي ،جامعة ادرار،الجزائر، 2011عبر الموقع الالكتروني https//revus.univ-ouargla.dz

[18] بن عربي ،ديوان بن عربي ،شرح احمد حسن ،دار الكتب العلمية ط1 ، 1996م ،ص 471

[19] نفسه،ص 480

[20] المرجع السابق ص 394

[21] الأمير عبد القادر ،ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ،تحقيق د. العربي دحو ،ص118

[22] الامير ،الديوان ، ص 122

[23] الأمير ،الديوان ص 124

[24] يوسف هادي بور بهزمي ،التراث الادبي ،بيروت ،لبنان ،ط1839،1،ص180

[25] أبو مدين التلمساني ،الديوان ،جمع وترتيب العربي بن مصطفى الثوار ، مطبعة الشرق ،دمشق،ط1958،1،ص07

[26] عبد الحميد هيمة ،الخطاب الصوفي وآليات التأويل ،قراءة في الشعر المغاربي المعاصر ،موفم للنشر ،الجزائر ،دط،ص261

[27] عمر بن الفارض،الديوان،تحقيق مهدي محمد نصر الدين،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط2002،1،ص65

[28] ابن تيمية ،الرسائل الصفدية ،تحقيق محمد حسين اسماعيل ،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،2000مص157

[29] القصيدة كاملة في جريدة (الفاروق) الجزائرية في 1921/10/8م ،(أول جريدة يؤسسها جزائري خارج الوصاية الفرنسية ،ينظر أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ج 8 ص 275)

[30] ابن خلدون المقدمة،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،1965م،ص870